قصة بلقيس مع نبي الله سليمان
تأليف: العلامة/ المرتضى بن زيد المَحَطْوَري الحسني
مكتبة مركز بدر للطباعة والنشر والتوزيع
www.almahatwary.org

بسم الله الرحمن الرحيم

فـــلا تَحْقِـــرَنْ كيـــد العـــدو فربمـــــا
تموتُ الأفـــاعي مـــن سمـــومِ العقـــاربِ
فقد هَدَّ قِـــدْمًا عـــرشَ بلقـــيسِ هُدْهُـــدٌ
وَخَـــرَّبَ فَـــأْرٌ قبلـــه ســـــدَّ مـــاربِ

يبدو أن ملك سليمان العريض ليس قاصراً على امتلاك نواصي الإنس والجن والشياطين والزرع والطير والوحوش، بل من روائع ملكه قدرته الفائقة على ضبط مملكته الواسعة، فلم يشغله الجمل عن تفقد الأرنب، ولا النسر عن ملاحظة العصفور. إنه كان فائق اليقظة، واسع الإطلاع، دائم التفقد: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾. [النمل:٢٠].

ينبغي إدراك مدلول: ﴿فَقَالَ﴾؛ إذ رُبِطَ بفاء التعقيب؛ وذاك يعني أنه بمجرد إلقاء نظرة عجلى على مراتب الطيور المناوبة في خدمة الموكب الملكي المهيب أدرك على الفور أن مكان طائر الهدهد شاغر، وهو طائر صغير من فصيلة العصافير؛ ولأنه لم

يطلب الإذن في ترك موقعه- قال: ﴿أَمْ كَانَ﴾ أي: بل ﴿كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾.

وهذا أمر ليس سابقة، وسيُعرِّضُ نظام الانضباط في جهاز المملكة إلى التسيب، وخدش هيبة الدولة. وكيف يتجرأ على هذا؟ أليس بإمكانه أن يطلب إذناً؟ وهو يعلم أن حقه مكفول، وأن سليمان قبل أن يكون ملكاً حازماً مهيباً هو نبيٌّ عادلُ رحيم؛ لذا لابد من الردع المناسب، وهو ما صرح به سليمان في قوله: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [النمل:٢١] .

يا للهول ربما الهدهد تعرض لنتف ريشه، وحرمانه من نعمة الطيران والخيلاء بتاجه في الجو، والقدرة على الوقوف في الهواء دون عناء، وإلحاقه بالزواحف، وتعريضه لمخالب القطط، ولدغات الهوام، أو الموت ذبحاً حسب نتائج التحقيق، إلا أن يأتي بعذر واضح وضوح الشمس فله حكمه: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾[النمل:٢٢] . وإذا به يطأطئ رأسه تحية للقائد الأعلى العارف بلغته، وبعد سؤاله عن سبب غيابه، أجاب جواب مُدِلٍّ بعلمه بما لم يعلمه قائده الأعلى، ومطمئنٍ بإفلاته من العقاب لأنه

كان في مهمة خطيرة تشبه رحلة ماجِلاَّن، فقد جاء لسليمان بمملكة سبأ، وضم لملكه حضارة اليمن، ومن عجائب هذه البلاد وحضارتها أنها أنجبت امرأة استفردت بذكاء أسطوري، وعقل لا تساوي عقول حكماء اليونان عنده مثقال ذرة، تَعَجَّبَ من نباهتها خالِقُها، ونَوَّهَ بخطرها بارؤها.

وهي وإن لم تهتد السبيل إلى عبادة الله، لكنها سرعان ما اكتشفت خروجها وقومها عن الفطرة، فمسحت غبار الضلال كما يُمسح الصدأ من كريم المعادن.

فلندع الهدهد يلقي على مسامعنا تقريره الوجيز الذي لخصه في قوله:

-﴿**أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ**﴾[النمل:٢٢].

-بماذا أحطتَ يا لؤلؤة الطير؟ وماذا وراءك؟

-قال: ﴿**إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ**﴾ [النمل:٢٣]. قال سليمان وهمه وعينه على الدين:

-وماذا عن دينها؟ هل تعبد الخالق العظيم الذي بَوَّأَهَا ما هي فيه من الأُبَّهَةُ والنعيم، وخصوبة وِدْيَانِ مأرب

والجوف؟

- قال: يا للأسف يا سيدي.. ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۝ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[النمل:٢٤: ٢٦].

- قال سليمان بعد سماع هذا الكلام الرصين الذي يترتب عليه مصير أمة: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[النمل:٢٧]، فلا محيص من البحث والتمحيص، ولستُ منمن يُطْرِبُهُ الإنشاء، فيحكم بالخبر العاجل، ويتصرف بمجرد سماع وشاية.

فأخذ الدواة والقلم وخَطَّ كتاباً إلى ملكة سبأ ورماه إلى الهدهد وقال: ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾[النمل:٢٨].

طار الهدهد وبعد فترة ليست طويلة دخل الطير الملكي النبوي قصر بلقيس دون حاجة إلى إذن من الحراس الشداد، سواء كانوا من مأرب أو الجوف أو بني عرجلة، وألقى الكتاب إلى الملكة، ثم تأخر عنها وظل يرقب من بعيد كيف

تتصرف إزاء هذا الخطب الجلل، وبأي أسلوب تدير الأزمة التي وضعت مستقبل بلادها في مهب الريح، فإن هي أخطأت صار مُلْكُهَا هشيماً تذروه الرياح.

جعل الهدهد يختلس إليها النظر من حيث لا تراه، فشاهدها تتأمل الكتاب قائمة تتمشَّى على بُسُطِ الحرير، بقدمين أرق من الحرير، وَقَدٍّ وجمال يُخْجِلُ حور الجنة، تُحدِّقُ في سطور الكتاب القليلة بعيني ظبي وصقر، وأدارت بوجهها إلى جهة الهدهد، واضعةً كتاب سليمان على رأسها، وأشارت له أنها تود أن تَنْحَرَ له الذبائح وتقيم مأدبة ضيافة على شرفه، تدعو لها كبار دولتها، فطأطأ رأسه وذيله شاكراً، وحرك عَذَبَة رأسه ضاحكاً؛ متأسف أنه ليس في قائمة طعامه الحنيذ، والجدي المشوي، واللحم المفروم، وأنه قد اصطاد لتوه جرادتين من بستان القصر، وقد وجدهما سمينتين شهيتين، وكان بِوِدِّهِ اصطياد بعض الفراشات لولا أن بعض الحراس صوب إليه سهمه إن عاد للتحليق في سماء البستان.

فطمأنته وأرشدته إلى شجرة مثمرة في ناحية البستان مليئة بالزنابق ريثما تتدبر أمرها.

أوعزت إلى كبير الموظفين أن يجمع لها قومها؟ فاتجهت النجائب السريعة، وضربت الطبول على رأس كل جبل، فهبت القبائل كسحائب الصيف، مسرعين ملبين نداء ملكتهم التي هي بمثابة سواد عيونهم، يفدونها بالنفس والنفيس، فقد وفرت لهم سبل العيش الكريم، وأحدثت من الأنظمة الراقية ما جعل مواطنيها سعداء آمنين، يعافون الظلم كما تُعاف اللحمة المنتنة في يد المجذوم، وصار الإيثار بينهم خلقاً وعادةً، وتأسس بينهم نظام الأمن القبلي. فالقبيلة مسئولة عن كل ما يحدث في ساحتها، وهي في تركيبتها تبدأ: بالشيخ ثم العرائف؛ والعريفة عبارة عن: مندوب مقدم للبدنة أو الفخذ داخل القبلية، ثم الأعيان: وهم أناس ناهون؛ لكن وَضْعَهُمُ القيادي تحت العريفة، ثم الأفراد. ثم يتكتل المشائخ أحيانا تحت رئاسة شيخ المشائخ. وشيخ المشائخ غالباً ما

يكون عارفاً بكل أعراف وأسلاف القبائل، فيكون المنهى لحل المشاكل.

ومن أعراف القبيلة أنها تضرب الطبل عندما يطرأ أمر يستدعي اجتماعها؛ لرد خطر، أو إرغام أحد أفرادها، أو حتى الفخذ كاملاً على امتثال ما حُكِمَ به عليه.

كذلك عندما يلجأ مظلوم يفر من قبيلته إلى قبيلة أخرى فلا تقبله حتى تُتَحَقَّقَ من عدالة مطلبه، فإما أن يطلب المؤاخاة واعتباره واحداً من أفراد القبيلة، وإما أن يطلب اللجوء المؤقت حتى يأخذ حقه بمعونة القبيلة التي استجار بها. ويقوم فقيه القبيلة الديني بتقديم الفتوى الدينية.

فالقبيلة برجالها ونسائها وصغارها وكبارها مشبعة بثقافة المسئولية التضامنية عن حماية الساحة، فلا يكاد يمر شيء غير معروف حتى لو كان المار من الطير أو الوحش إلا رصدته القبيلة؛ إذ كل أفرادها عيون وآذان. ويعد من الفخر اكتشاف أي خطر وإبلاغ الشيخ به فوراً، ومن النذالة والغباء

والجبن أن يعجز أي فرد من أفراد القبيلة عن مواجهة أي خلل بمفرده، أو بالاستعانة بغيره بحسب الحال، وكذلك يوصم بالغباء إن لم يكتشف الدخيل.

والخلاصة فالقبيلة عبارة عن جهاز مغلق في غاية التنظيم والدقة، فهي عبارة عن جهاز أمني وثكنة من ثكنات الدولة، لا تكلف خزينة الدولة مثقال ذرة، بل إن القبيلة تدعم خزينة الدولة، باعتبار أن رئيس الدولة بمثابة شيخ مشائخ البلاد؛ ولهذا إن لم يكن رأس الدولة قوياً عادلاً كان عرضة للانقضاض عليه، أو الاستهزاء به، والسخرية منه.

فالملكة بلقيس كانت حازمة قوية بارعة، ينبض قلبها بحب قومها، فهي ليل نهار تبتكر الوسائل التي ترتقي بهم إلى مستوى أرقى الحضارات في زمنها، بل سبقت حضارات الزمان الذي نحن فيه، ولا أدل على ذلك من ترسيخ النظام الديموقراطي المدهش.

ها هي الملكة بلقيس واسمها كما جاء عن علماء الأنساب: يلقمة بنت اليشرح، وقيل: ابنة ايلي الشرح، وقيل: ابنة

ذي شرح، بن ذي جدن، ابن ايلي شرح، بن الحارث، بن قيس، بن صفي، بن سبأ، بن يشجب، بن يعرب، بن قطحان[1]، تعتلي المنصة، وتلقي التحية على رجالها الأبطال الذين ردوا بزامل زلزل الأرض: (النفس والنفوس، في اليوم العبوس، تفدي عماد العز، تاج الْمَمْلَكَة بلقيس).

طأطأت رأسها حبًّا واحتراماً لشعبها الذي جرى حبه في دمها وقلبها، أنصت الجمع حتى لا يُسمع حسٌّ ولا همس؛ إجلالاً وإكباراً، فابتدأت قائلة: حَيَّا الله وجوهكم، وسَعِدَتْ برجولتكم وشهامتكم بلادُكم، وافْتَخَرَتْ بخدمتكم ملكَتُكم، هل شعرتم يوماً بتقصير، أو وضع أحدكم يده على ظلم، أو وقع بصره على إهمال، فإن حدث شيء بمرأى مني ومسمعٍ ولم أحرك ساكناً فلا أستحق حبكم وطاعتكم، وسَأُسَلِّمُ تاج الملك الآن إليكم؟

---

(١) الطبري ١/٩٨٤.

صاحوا بأجمعهم بالزامل المدوي: (الظلم ماله من أثر، والعدل في الشعب استقر، لا غش لا فوضى ولا في أرضنا إهمال).

أشكركم، وأذكركم أني لا أجد ما أكافئكم به أكثر من رعاية شئونكم، وحماية مصالحكم، فتلك سعادتي، وهل أسعد عندي من خدمتكم يا عشيرتي وأهلي؟

تقدم زعماء قحطان[2] إلى المنصة الملكية، وأدوا تحية الولاء والطاعة، وسألوا الملكة عن سبب دعوتهم؟ فقالت:﴿**يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**﴾ ثم: ﴿**قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ**﴾ [النمل:٢٩: ٣٢].

فأنتم أصحاب القرار، وبِحِرَابِكُم تُحْرَسُ الديار، وليس من حقي أن أستبد بأمر خطير كهذا دونكم، ولعلكم لمستم في إرسال طائر الهدهد، وصرامة الكتاب، ووجازته أن

---

(٢) ....

الْمُرْسِلَ كبير الشأن، وإلا لما تجرأ على بلادنا، وانتهك سيادتنا، وهاهو الهدهد في انتظار الرد، فماذا ترون؟

جاشت الحمية في نفوسهم، وألهب الحماسُ الوطني مشاعرهم، فَجَرُّوا سيوفهم، وأشرعوا رماحهم، وأخذ كل رجل كَفًّا من تراب ونثره على رأسه تعبيراً عن بذل أرواحهم فداءً لكل حبة رمل من أرضهم الحبيبة و﴿**قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ**﴾[النمل:٣٣] أنت أيتها الملكة العظيمة رمز السيادة الوطنية، وقد سعد بكِ الأرض والإنسان، وقل أن يَجُودَ بمثلك الزمان، أو تُنْجِبَ شبيهاً لك حفيدات سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، فالبلاد في حصن حصين بقيادتك الفذة، وسيرتك العاطرة العادلة، وإنا وجدنا في ذكائك النادر، وعقلك الرصين، ما يجعلنا نسلم إليك مقاليد التصرف المطلق، فالرأي ما ترين، ونحن زندك الرادع، وقوتك الضارية.

الموهبة والحكمة والعقل والمسئولية

صمتت ملكة ملوك التأريخ العظماء، ورمقت الهدهد منتظراً الجواب الذي يتحدد على ضوءه مصير المملكة،

ونظرت إلى قومها نظرة أُمًّ شفيقة إلى أطفالها: يا ترى أَمِنَ الحكمة والعقل أن تلقي بهؤلاء الأبطال الأشاوس الطيبين الأوفياء، الذي ألقوا على كاهلها تقرير مصيرهم إلى معركة تهلك الحرث والنسل؟؟

ولا تعدم الملكة إن زجت ببلادها في حرب خاسرة أن تبررها بالدفاع عن الوطن، وتغلفها بالحمية القومية، والنخوة الدفاعية حتى آخر رجل وامرأة، ولو فعلت ذلك لكانت في منطق التاريخ غير ملومة، بل مدافعة عن سيادة بلادها.

لكنها ببعد نظرها، ورجاحة عقلها، وحسن تدبيرها، وثاقب رأيها وتبصرها بالعواقب استطاعت أن تُبْحِرَ بالسفينة اليمنية عبر الأمواج العاتية، والتيارات المتلاطمة، والرياح العاصفة، دون أن تصادم الصخور، أو يبتلعها البحر فأوصلتها ومن عليها إلى بر الأمان، وشاطئ الهدوء، ولم تخسر سيادة، ولا خُدِشَتْ لها كرامة، قالت لقومها: أنتم حماة الوطن حقاً، وأنتم درعها الواقي، ومن راهن بمثلكم كانت له الغلبة

والفوز، وسندافع عن بلادنا حتى آخر قطرة من دمائنا، ولكن بحكم موقعي، وحجم مسئوليتي، لا أرغب في التسرع والطيش، ففي العجلة الندامة، وفي التأني السلامة:

قد يـــدرك المتــأني بعـــض
وقد يكـــون مـــع المـــستعجل

وسأبدأ بالطرق السياسية، والمعالجة الدبلوماسية.

وبدأتل تشرح لهم بعض العناوين بغرض رفع مستوى تفكيرهم، وتدريبهم على إدارة الأزمات: ﴿**قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**﴾[النمل:٣٤]، ولهذا ليس من الحكمة أن أجازف بكم قبل أن أعلم عِلْمَ سليمان، فإن كان ملكاً سهل علينا أمره، وإن كان نبياً وملكاً في نفس الوقت فلا طاقة لنا به، وفي كلا الاحتمالين لدينا مجال للمناورة واستطلاع الأمر: ﴿**وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ**﴾[النمل:٣٥].

أرسلت برقية مختصرة مع الهدهد: بأنا قادمون، قاصدةً إقفال باب المباغتة، وجهزت على الفور قافلة محملة

بالهدايا النفيسة مثل: العقيق اليماني، والزبيب الذي يأتي من أعناب وديان مَسْوَرِ خَوْلانَ، وحدائق الروضة، ومعه أحمال اللوز المشهور الذي سميت به جبال في اليمن؛ لجودته وحلاوته كجبل اللوز، وأضافت من البن والقشر والسمن والعسل ما يسيل له اللعاب، وأغرب المؤرخون والمفسرون في تفاصيل الهدية وذهب بهم الخيال كل مذهب.

لكن الهدف منها التدبير وحسن النظر، واستكشاف أخبار سليمان، أهو ملك يرضيه المال، ويبحث عنه وعن السيطرة والتغلب، أم هو صاحب مشروع مفيد؟ فإن كان الأول، كان من السهل على بلقيس أن توقعه في فخٍّ بعيد القعر.

واختارت للقافلة رجالاً من الأذكياء القادرين على استيعاب كل شاردة وواردة، ولَقْطِ المعلومات بكل الحواس الخمس، والرجوع بخريطة شاملة؛ تمكِّن الملكة من اتخاذ القرار المناسب، وزودهم بالتوجيهات التي تريدها وأمرت قومها

بالاستعداد الكامل لأي طارئ.

وصل الوفد اليماني إلى بلاد سليمان وشاهد ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، وخطر على قلوبهم أن مُلْكاً كهذا واقع على وجه الأرض، فقد وجدوا أنفسهم أمام قوة فوق طاقة البشر، شاهدوا عفاريت الجن المرعبة، ومردة الشياطين المفزعة، وشاهدوا قوى الطبيعة مسخرة لإرادة سليمان، فالريح العاتية طائعة ذليلة، والطير عاكفة، وذلك ما أشار إليه القرآن: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص:٣٦: ٤٠]. ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[سبأ:١٣]. ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾[النمل:١٦].

رجع الوفد لا يعرف كيف يُعَبِّرُ عما رأى، إلا أنهم قالوا للملكة: إن سليمان قادر على اقتلاع الأرض اليمنية

بمن عليها. فأجابت الملكة دهشةً: وكيف ذلك؟ فقالوا: إنه يستند إلى قوة خارقة؛ فقد سخر الله لخدمته الريح والجن والشياطين والطير، ولو قاتلنا بالإنس وحدهم لقهرنا، فكيف لو سلَّط علينا مردة الشياطين، أو عفاريت الجن، أو أرسل الريح العقيم، ما تذر من شيء إلا جعلته كالرميم؟؟ في تقديرنا أن ماردا واحدا يقدر على تدمير المملكة دون عناء. ومع هذه القوة التي وهبها الله لسليمان وجدناه في غاية التواضع والبساطة والزهد.

قالت الملكة: ماذا رأيتم؟ قالوا: وجدناه يأكل الشعير، ويطعم ضيوفه لذيذ الطعام، ويجلس على الحصير والجلود ويلبس الصوف.

فما هو بملك وإنما هو شيء آخر أكبر من الملك، إنه نبي من أنبياء الله. هذا ما رأينا، وناولوها رسالة سليمان، فوجدت فيها: **﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾**[النمل:٣٦]، وضَمَّنَ الرسالة ما قاله لكبير الوفد وقال له: **﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ**

صَاغِرُونَ﴾[النمل:٣٦].

أيقنت الملكة أن مغالبة القَدَرِ ضرب من الجنون، والمكابرة لون من ألوان الشؤم والعناد بوابة الشر، والبلداء وحدهم هواة الانتحار، وغربان البوار، وبوم الدمار، فمن غَالَبَ الله يُغلب، ولعلها لجأت إلى الشمس علَّها تجد عندها نجدةً لما دهاها، فولى ضوؤها معلنًا للسيدة النبيهة أن الشمس مخلوق لا يضر ولا ينفع، ولا يقدِّم ولا يؤخر، ولا يغني عنها شيئاً، وأنها كانت مخدوعة في عبادة مخلوق ونسيان الخالق، فأدركت فداحة خطئها، وَزَلَّةَ عقلها الذي فضلت به على كثير من الناس تفضيلاً، ولكل جواد كَبْوَة، ولكل صارم نَبْوَة.

القرار التاريخي

حزمت أمرها، وأمرت المراسم الملكية أن تُعِدَّ الرحيل لمقابلة سليمان.

طارت الأخبار بقدوم الملكة الأعجوبة.

لما علم سليمان عليه السلام بقدومها أمر بجمع المعلومات عن الملكة بلقيس، فمن غير اللائق بنبي كريم، وملك عظيم، أن يجهل المعلومات الضرورية عن كبار الوفود، وقد اهتم كثيرا بتقصِّي أخبار الملكة بلقيس، فطلب شيخ مشائخ الجن باليمن، وكبير قبائل الشياطين في تلك الجهات، وأمرهما بجمع أخبارها على وجه السرعة، وتحرِّي الدقة في النقل، والأمانة في توثيق المعلومة، وأعطاهما الصلاحية في الاستعانة بمن يريدان من أتباعهما، فقالا: سمعا وطاعة.

لم يمر وقت طويل حتى عادا وقصَّا على سليمان موجزا عن بلقيس بهذه الصورة البديعة وسليمان يستمع بعناية:

١- يقال: إنَّ أُمَّهَا جِنِّيَّةٌ؛ ولعل هذا من الأساطير؛ وسبب انتشار هذه المقولة سيظهر لاحقاً ضمن بنود التقرير.

٢- قوية الجسم دون أن تخرج عن الرشاقة والقوام الساحر.

٣- ليس في النساء أجمل منها.

٤- خارقة الذكاء .

٥- مشهورة برجاحة العقل .

٦- ليس في قومها رجالا ونساءا أشجع منها.

٧- تحكم بلادها بالعدل وحسن التدبير والحكمة، والقوة من غير عنف، واللين من غير ضعف، فهي مرهوبة الجانب، ومحبوبة بشكل لا يمكن تصوره، وقد سمعنا من أخبارها عجبًا يا نبي الله، فقال: ماذا؟ قالا: لما حضرت والدها الملك الوفاة قال لقومه: لم أجد من استخلف عليكم أفضل من ابنتي بلقيس عقلاً وأدباً وكمالاً، فما وجدت أحداً يفوقها في المعرفة بتدبير الأمور، وقد عرفتم الكثير عن نجابتها وبركة رأيها، وليس في أولادي الذكور رغم نجابتهم من يصلح للملك كبلقيس، فرضخوا لرغبته على مضض، فلما مات أَنِفُوا أن تتولاهم امرأة، وعاشت البلاد فترة فراغ جرَّأت عَمْراً ذا الأذعار، فجمع الجيوش ونهض إلى بلقيس عازما على اقتحام البلاد، وَسَبْيِ بلقيس؛ لما بلغه من جمالها الساحر. أدركت بلقيس خطورة الوضع، وليس لها به طاقة، فخرجت خلسة

مع أخيها الأصغر عمرو بن الهدهاد، في زي أعرابية بدوية وتوجهت صوب جعفر بن قرط الأسدي الهزاني من بقيايا طسم وجديس، وكانوا أطول الناس أجساما، وهو من نسل حمير بن سبأ ، وكان أنجد أهل زمانه وأفرسهم، وأطولهم جسما، كأنه نخلة، وعمره يقارب الثلاثمائة سنة، فقالت له: أنا بلقيس وهذا أخي عمرو أتيتك هاربة مستجيرة مطيعة ، فأَجِرْني وأخي، فقال: مرحبا بك يا بنيتي وبأخيك، فسأمنعك مما أمنع منه نفسي وبناتي ، فادخلي إلى بنات عمك آمنة. وكان ذو الأذعار يطلبها فلم يجد لها حسًّا، وكان جفعر بن قرط قد جعل على نفسه في كل عام عمرة إلى مكة ، فيحرم بمكة شهر رجب كله، وبعد رجوعه عن العمرة يجاور قبر النبي هود شهر المحرم كله، ثم يعود إلى حصنه ، وكان بين حصنه وقبر النبي هود مسافة يوم.

خرجت مع ذلك العملاق في رحلته عبر محمية حماها لنفسه، لا يجرؤ أحد على الاقتراب منها، يسافر فيها إلى منتجعه الصحرواي بجوار قبر النبي هود عليه السلام ولم يصطحب سوى نسائه وبناته، وبلقيس فقد أنزلها منزلة بناته، ومعها أخوها عمرو وهو صغير. سار بهم على

شاطئ نهر الحفيف بين النخل يأكل من ثمرها ويطعم أهله ودوابه، وتلقاه السباع والحيات فيقاتلهم ويقول لأهله: لا تجزعوا.

طمع بعض الصعاليك الفُتَّاك في الاستيلاء على مخيم هذا الرجل الذي يشبه النخلة، وقد جاءوا من جهات مارب، يدورون في الأحياء ، لا يسلم من لقيهم ، فرمى بهم الحظ إلى نهر الحفيف ، وهو نهر ينهال فيه الرمل فيبتلع من سقط فيه ، فطلبوا منفذا وصلوا منه الى جهة جعفر فرأو شيخا كالنخلة قد سقطت لحيته على عرف فرسه، فانحرف إليهم بوجه كالترس فقال: من أنتم وما شأنكم؟ فقالوا: عمرو بن عباد الأزدي، وشريك بن عمرو الأزدي ، وتبان بن ثور الزبيدي، ليس في العرب مثلنا بأسا، ونجدة، فأسلم الضعائن وانج بنفسك، وقال تبان لعمرو : ما لنا به طاقة فلسنا من جيله، ولا من خلقه ، فقال: دع الجزع فقوه الشباب تغلب صلابة الهرم، فسألوه عن اسمه فانتسب لهم وطلبوا منه المبارزة فثبت لهم

فطعنوه فألقى إليهم المجن فلم يعمل سلاحهم فيه شيئا ، وحمل عليهم فولوا هاربين وثبت عمور فطعنه جعفر فعقر فرسه ، وعطف على صاحبيه فعبرا النهر وعلما أن لا طاقة لهما بجعفر فقال: لعمر: ألق سلاحك واستأسر وإلا قتلتك، فألقى سلاحه فكتفه، وربطه إلى نخلة ثم عبر جعفر إلى تبان وشريك وطعناه فلم ينفعا شيئا فهزمهما وأسرهما، وطلب منهما الفداء مالهم كله، فلما وافقوا ساقهم معه وضرب لهم قبة بجوار قبر النبي هود حتى برأت جراحهم وقالوا: يا أبا عامر ملك الملوك: انتم وجه الدنيا وشُمِّ العرب، فالوفاء العفو أشبه بك والجهل أشبه بنا، فقال: لما سمحتم بالفداء بمالكم عرفت أنكم ترون أعراضكم أنفس من أموالكم، وقد عفوت عنكم، ولو بخلتم لقتلتكم، فحملهم على أفراس وأذن لهم بالانصراف. فعاد عمرو بن عباد بهدايا ، وقعد عنده يشرب الخمر، وطلب من جعفر أن يشرب فقال: إذا

فقدت عقلي فمن يحمي الظعائن؟ فألح عليه وقال: أنا ضيفك، ولا يطيب لي السمر إلا بأن تشرب معي، ثم إنه خمر خفيف لا يسكر، فسقاه خمرا صِرْفاً، فلما ذهب عقله، بادره بالسيف ففصل رأسه عن جسده، وقام بسحبه إلى الخيام، فخضعت النساء خيفة، وطلب تجهيز جدجاد بنت جعفر حتى يخلوا بها، وكان قد لمحها في غاية الجمال، فقالت بلقيس: ليس لهذا الفاسق غيري، وكانت تخبئ خنجراً بين شعر رأسها مقبضه من الجوهر والماس، فيظهر من أمامها وكأنه حلية وطرف سنانه وراء أذنيها، وهي أول من فعل ذلك، فأقبلت إليه، وكانت أجمل من جدجاد ومن نساء زمانها، فأنكرها، إلا أنها سحرته بجمالها الأخاذ، فبادر نحوها فقالت: ما هكذا تعاشر بنات الملوك، وخادعته حتى ألقته أرضًا، وضغطت يديه بيدها اليسرى، لم يستطع حراكا، وبادرته بالخنجر فغرسته فوق قلبه، ثم فصلت رأسه عن جسده، وسحبته وألقته بجوار

جسد الملك جعفر وقالت: مخاطبة الملك القتيل: هذا قليل لك مني يا أبا عامر.

ثم لبست ثياب أبي عامر وسلاحه وقالت للنساء: اسرجن فرس أبي عامر فركبته، وأمرت النساء بسرعة العودة قبل أن ينتشر خبر مقتل جعفر، فرحلن وكانت تمشي خلفهن كما كان أبو عامر يفعل، فلما أوصلتهن إلى الحصن ، شاع في العرب مقتله، وعرف عمرو ذو الأذعار مكان بلقيس فأرسل قوة ، فأخذها وقبل أخذها أمرت أخاها بالهروب الى البحرين، وقالت له: لي حيلة أخدعه ، وأنت لا حيلة لك إلا الموت، فاهرب ، فهرب في زي أعرابي وسارت بلقيس إلى عمرو، وكان فاسقا ماجنا جبارا، فأدخلت عليه فلما شاهدها ذهب صوابه؛ لسحر جمالها، فثار إليها كالجمل، فأوهمته أنها مشغوفة به، وطلبت منه الاسترخاء ريثما تتهيأ، فدخلت الحمام وعادت كأنها ملهوفة عليه، فبركت عليه، وغرزت

الخنجر في ثغرته، ثم فصلت رأسه، ثم دعت الملوك الخاضعين لسيطرته باسم الملك المذبوح، لما اجتمعوا قالت لهم: لقد اختارني نائبة له، وملكة بعده، فأخذت منهم العهود على طاعتها، والتزام أمرها، فلما أعطوها عهودهم، أخرجت الرأس وألقته بين أرجلهم، وقالت: خذوا رأس هذا الماجن الذي ينتهك المحرمات، ويفترس الأعراض، دون أن تحركوا ساكنا، وها أنا الآن ملكتكم مكانه، فهل لدى أحدكم أي اعتراض؟؟

فقاموا يقبلون الأرض تحت قدميها، ويقولون: نشكر لك أن محوت عارنا، وتخليصنا من طاغية ماجن فسمعا لك وطاعة، وقد فعلت ما لم يفعله الرجال، فأنت أحقُّ بالملك منهم، وأجدر بهذا المكان. وجددوا لها البيعة، وأذعنوا بالطاعة، فضبطت البلاد، وأمنت العباد، ونشرت العدل، واختارت لولاية الأقاليم رجالاً من الحكماء العقلاء، القادرين على إدارة شئون الناس بالحق والعدل

والرحمة والحزم.

أعجب سليمان بالملكة أيما إعجاب، وقرر أن يكتشف المزيد من ذكائها وشجاعتها وسرعة بديهتها، وأراد أن يعرف هل ما زالت تحمل سحر الأنوثة، وجمال الأناقة، أو طَغَتْ عليها شخصية المرأة الحديدية، ونفس الماردة العفريتة؟ فأجرى بعض الاختبارات التي لا ينجح في حلها إلا النوادر من بني آدم:

١- أمر الجن على وجه السرعة أن يبنوا حوضا يشبه البحيرة، مزودا بكل أنواع الحياة البحرية، وأمرهم أن يغطوه بسقف من الزجاج النقي الذي يشبه الماء، وأن يجعلوا الحوض في البهو الموصل إلى مجلس سليمان، فلا يتمكن الزائر من الدخول إلا بالمرور فوقه، وأراد أن يختبر شجاعة الملكة، وقوة إقدامها في الأمور الخطرة.

٢ – الاختبار الأصعب: إحضار عرشها، فقد جمع أقطاب مملكته، ووجوه دولته من كبار المردة والعفاريت من

الشياطين والجن، وعباقرة العلماء والحكماء من الإنس، ووجه إليهم سؤاله الشهير: ﴿**قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قال عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ**﴾[النمل:٣٨]— وهو شيخ مشائخ جن اليمن وشبه الجزيرة والخليج والقرن الأفريقي- ﴿**أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ**﴾[النمل:٣٩] ، فقال له: وكيف تحافظ على ما يحويه من التحف الملكية والوثائق والأسرار والكنوز والآثار التي لا يجوز التفريط بها؟ فقال: ﴿**وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ**﴾[النمل:٣٨]. فالتفت إلى عباقرة علماء الإنس وقال: ما رأيكم فيما سمعتم من العفريت: ﴿**قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾ [النمل:٣٨]. -وكان عارفا بتحضير الأرواح المكلفة بحفظ البيوت- فأوعز لحراس قصر بلقيس من الأرواح الخارقة القوة التي تفوق قوة الجن ألوف المرات، فأحاطوا بالقصر ومنعوا تسرب الهواء المضغوط؛ لئلا يتناثر، وطاروا به بسرعة الضوء إلى مجلس سليمان، ﴿**فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**﴾[النمل:٤٠].

شاهد العرش، فإذا هو مدهش بكل المقاييس في ضخامة أعمدته وطولها الباسق، والنوافذ منقورة في بطون صخرة واحدة، أما الأبواب فهي مصممة من أربعة أعمدة صخرية من المرمر، واحدة على اليمين، وأخرى على اليسار، واثنان من فوق ومن تحت، وكان به ٣٦٥ كُوَّةٌ يدخل ضوء الشمس كل يوم من كوة، وبنيت الجدران من الصخور المسمى باليمن الْحَبَشْ، متزاوجة متداخلة في بنائها، لا يلحظ الرائي الفواصل بين الحجرين إلا بصعوبة، والجدار الداخلي مشتبك أيضا مع الجدار الخارجي. ووضع في الفراغات بين الجدارين سائل القطر المسمى في اليمن بالْقَضَاضِ؛ ولكي يستوعب نبي الله سليمان سر هذا السائل الذي يبقى ألوف السنين استحضر روح كاتب القصة[٣] ليشرح له صناعة القطر ورحلة تحضيره الشاقة:-

(٣) وسأشير إلى روح كاتب القصة بالحرفين (ر، ك) ونبي الله سليمان

ن. س: هات ما عندك أيها الروح العزيز..

ر. ك: سمعا وطاعة سيدي: كان جدي رحمه الله مشرفاً من باب الاحتساب والتطوع على المساجد والأموال الموقوفة لها، في آخر أيام الأتراك، وبداية دولة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، وكانت ضائعة مهملة، لكنه رحمه الله شخص قوي العزيمة، بعيد الهمة، حازم شديد التديُّن والزهد، لم يَتَسَنَّ له الالتحاق ببعض هجر العلم مثل: شِهَارَةٍ أو مَعْمَرَةَ، فتعلم القرآن وحفظه عن ظهر قلب كأنه الفاتحة، وعكف على المطالعة، وأظنه استظهر تفسير الكشاف -إذ كانت لديه نسخة حجري من أول طباعة الكشاف - والبيضاوي بهامش مصحف قديم ما زال عندي، وكانت أفكار البيضاوي في العقيدة لا تناسبه مثل: القول برؤية الله، والشفاعة لأهل الكبائر، والخروج من النار، والترضِّي عن البغاة، وما شابه ذلك،

بـــ(ن، س).

فيبادر معلقاً مستعيناً بإمام أهل التفسير الزمخشري، وأظنه حفظ بن أبي الحديد وشرح الأزهار، وكان يستعير ما وجد من كتب وهي نادرة فينسخها، وكان شاعراً ناقداً، فاستطاع تجميع أموال الوقف، وتحصيل غلاتها، وحث الزراع على العناية بها، وبادر بتخزين الحبوب في مخازن تحت الأرض مصنوعة من حجار وقضاض، وكان يهدف لتجميع أكبر كمية تمكنه من عمارة المساجد المهدمة، وعمل خزانات كافية لاستيعاب مياه الأمطار.

ن.س: هل حجم هذه الخزانات تشبه سد مأرب؟

ر.ك: بالطبع لا؛ لأن المنطقة تقع ضمن جبال شاهقة وعرة، والأمطار شحيحة؛ فالمناسب حفر خزانات تسمى الْبُرَكَ والْمَوَاجِلَ والسَّقَايَ- جمع سقاية-، أكبرها -وهي الوحيدة بقلعة مَحَطْوَر- تبلغ ٨٠ ذراعاً في ٨٠ بعمق ٢٠ تقريبا، وبعضها ٢٠×٢٠ إلى ٣×٣ أحيانا في عمق مثلها أو أكثر أو أقل، وكلها تغطي جدرانها

بالقضاض.

ن س: معذرة من المقاطعة، سمعت كلمة مَحَطْوَر، هل هذا اسم جني؟

ر ح: لا يا سيدي، وإنما هو اسم قلعة شامخة كان يحتمي بها الأجداد أيام احتلال الأتراك لليمن، وقد سمعت أنها كانت مسكنا للجن، فتنازلوا عنها وأهدوها لأجدادي ليثبتوا أنهم من شيعة آل رسول الله.

ن س: ما معنى شيعة؟

ر ح: معنى شيعة يا سيدي: المحبة والموالاة والمناصرة، مشتقة من المشايعة، فغلب هذا المصطلح على من يتولى علي بن أبي طالب.

ن س: من هو علي هذا؟

ر ح: هو يا سيدي ابن عم النبي محمد ﷺ خاتم المرسلين، وزميلك في النبوة، وأنت تعرف ذلك، فَقُدِّرَ لعلي أن يلتحق بمحمد منذ طفولته، ورباه محمد وعلَّمه كل ما

لديه، ولاحظ عليه النباهة الفائقة، والذكاء الحاد، والقوة البدنية الخارقة، ولمس منه انجذابا واندماجا مع روحه وعقله وقلبه، وحبًّا شديدًا ألهاه عن كل شيء سواه؛ إذ استطاع النبي محمد ﷺ أن يُفَجِّرَ فيه جميع قوى الإبداع، ورسم له خطًّا يوصله إلى بحبوحة الجنة، ونصب له سلما يصعد من خلاله إلى القمة ووصل إلى القمة وأصبح أعظم رجل بعد النبي ﷺ ولم يفته سوى النبوة؛ إذ هي اختصاص إلهي غير مكتسب.

ن س: قد خرجنا عن الموضوع، ولكن لابد من سؤال: لماذا سُمِّيَ أتباعه شيعة؟ وهل هناك من لم يتابعه وهو بهذه الصفات؟

ر ح: يا سيدي قد دُفِعَ عن مكانه المناسب، وحُرِمت الأمة من طاقاته الهائلة ربع قرن، ولما اختاره الناس، لقيادتهم وطبق فيهم شرع الله كما أُنزل، وساوى بين الفقير والغني، والقوي والضعيف، لم يَرُقْ للطبقات الثرية؛ إذ رأوا فيه كابحا لطموحهم في تكديس الثروة والتفاوت الطبقي المجحف،

فالتحم معهم في حروب مريرة، كان النصر له، إلا أن نصره أنهك قواه، وعرقل مشروعه الإسلامي الراقي، وآل الأمر بعد استشهاده إلى عدوه رقم واحد وهو معاوية، فبرز حينئذ مسمى (النَّوَاصِبِ) أي: المبغضين لعلي، وتأسست مدرستهم رسميا، وجعلوا شغلهم الشاغل تشويه صورة علي، ومحاولة محو تاريخه المشرق، ورسموا صورة قاتمة لشيعته، وأنزلوا بهم من التنكيل والقمع ما تشيب له النواصي، طوال فترة معاوية، وابنه، وبني مروان. ثم جاء العباسيون فكانوا أخبث وأطغى، بداية بالسفاح، ثم أخيه أبي الدوانيق فرعون أمة محمد، الذب قتل نجوم الآل بقسوة مفرطة، فَنَجَى من بقي من ذرية الزهراء بنفوسهم إلى أطراف الأرض، ووجد أجدادي ملجأً لدى جِنِّ مَحَطْوَرٍ، أمنوا على أنفسهم في تلك القلعة النائية، وعملوا على إصلاح خزانات وحاويات للماء في كل شبر يصلح لذلك؛ ليبقوا على قيد الحياة، وظل جدي مسكونا بهذه الفلسفة رغم انفراج الأحوال، فعزم على تفجير طاقات أهل قريته والقرى المجاورة، المعروفين بتفوقهم على النحل

والنمل في الصبر على العمل، والنشاط المتميز رجالاً ونساءً وصغاراً وكباراً، فهم يعملون من قبل شروق الشمس إلى غروبها، أما النساء فتعمل ثلاث ساعات بعد الغروب في العمل المنزلي، إضافة إلى العمل النهاري مثل الرجال. وسأدخل سيدي في شرح صناعة القِطر بداية بصناعة النُّورة:

صناعة النُّوْرَةِ

١- تحفر حفرة في طرف جِرْبَةٍ مما يلي جدارها، أي: في ركنها الخارجي بعمق ثلاثة أمتار تقريبا في عرض ثلاثة أمتار وطول ثلاثة إلا أنها مستديرة.

٢-فتح نافذة من أسفل الحفرة بغرض إيصال النار منها.

٣-تمتد هذه النافذة عبر نفق يبنى بالحجارة، ويترك فيه فتحات من اليمين والشمال ومن فوق.

٤-سعة النفق نصف متر ارتفاعا ومثله عرضا، أما طوله فمن طرف الحفرة من الخارج إلى جدار الحفر الداخلي.

٥-يحشى النفق بالحطب والقش القابل للاشتعال.

٦-تتصل النار بقطع مرصوصة من الحطب الصلب اليابس الذي رُصَّتْ به الحفرة من يمين وشمال وفوق النفق بقدر ذراع.

٧-يطرح مباشرة فوق الفِلَقِ المرصوصة من الحطب اليابس جذوع شجر ضخمة خضراء من السدر يزن الجذع الواحد أكثر من ألف رطل، يعني أنها بحجم الثور لا يمكن حملها وإنما تقلب قلبا، وترص الجذوع رصا محكما.

٨-يرص فوق الجذوع حجارة البَلَقِ الصافي القابل للاشتعال والنضج بارتفاع متر تقريبا، مكسرة قدر القطعة رطل.

٩-طبقة أخرى من الجذوع الضخمة، ثم طبقة من الحجارة حتى تكون الطبقة الأخيرة حجارة حتى ترتفع مقببة.

١٠- يعمر حزام دائري في رأس الحفرة بارتفاع ذراع؛ ليمنع اختلاط التراب بالنُّورة عندما تنضج؛ ويساعد على استيعاب كمية من الحجارة المرصوصة بغرض إنضاجها.

١١- بعد غروب الشمس يتم إيقاد الشعلة، ثم مواصلة

شحن النفق بالحطب اليابس السريع الاشتعال إلى أن يتم إنضاج واشتعال الجذوع الخضراء المباشرة لطبقة الحطب اليابس، وأمارة اشتعالها سماع صوت الحجارة وهي كالمفرقعات الخفيفة.

١٢- عندما تظهر النار من الأعلى يستبشر العمال ويضيفون كميات من الحجارة في الأماكن التي تندلع منها ألسنة اللهب بغرض كبح جماحها لتتعادل في إحراق الحجارة في جميع النواحي.

١٣- متى اطمأنوا إلى أن النار توزعت في جميع الجهات، وأن لا حاجة إلى إضافة شَلَفٍ[٤] يخلدون إلى النوم.

١٤- يذبح في اليوم الثاني كبش للغداء بمناسبة نجاح العملية.

١٥- تسمى الحفرة المذكورة مَنْوَرٌ.

١٦- تظل النورة داخل الحفرة حتى تبرد.

---

(٤) أي قطع صغيرة من الحجارة.

١٧- مدة التبريد ثم تنقل بالدواب وتُخزّن في مكان أرضي.

صناعة الْقَضَاضِ:

١- توضع كمية من النُّورة في وعاء كبير من الفخار، ويصب عليها ما يغمرها من الماء، ثم تخلط بالماء، وفي اليوم الثاني يضاف الماء ويستمر التحريك بين الفينة والأخرى؛ لئلا تتجمد، وتظل بينه حتى تختمر قدر أسبوع.

٢- يتم دَقُّ حجارة الْبَلَقِ وهي: حجارة تقبل التكسير إلى قطع مثل رأس الأنملة.

٣- يتولى آخرون تكسيرها إلى قطع أصغر مثل حب الذرة.

٤- حينئذ يطرح خمير النورة فوق هذه الحجارة الصغيرة وتخلط خلطاً جيداً وتقلب حتى تتخمَّر أكثر وتبقى في شكل عجين لازب.

٥- يبدأ نقل العجين إلى مكان أوسع؛ ليسحق فوق مدقات من الحجارة حتى تتحول حبات الحجارة إلى طحين وينقل ما تجمع من المدقات إلى مكان لِيُخَمَّر ويقلب حتى يصير

لازباً.

٦- يصب في أرضية البركة المرصوصة بالصخور بارتفاع شبر تقريبا، وتملأ الفواصل بين الأحجار في الجدران أو تغطى كلها.

٧- تأتي عملية الوشاخة ومعناها: ضرب القضاض بعد وضعه مباشرة بأحجار حادة، ويستمر الدق المتقارب والمتداخل مع قطرات الماء حتى يتصلب وينضغط بفعل الوشاخة فكأنه حديد.

٨- يتم دلك القضاض بأحجار ملساء ناعمة يُؤْتَى بها من الطرق التي طال المشي عليها حتى صارت كأنها زجاج، ويستمر الدلك مع الرش وإضافة ترويبة من النورة المخمرة تشبه الزبدة؛ لتنعيم وجه القضاض؛ وملئ أي فراغ محتمل حتى وإن كان مثل رأس الإبرة، وهو غير موجود طبعا إلا أن عمل القضاض يدخل في باب التعنت والخرافة في الإتقان.

بعد سماع سليمان تقرير كاتب القصة عن صناعة القضاض وأسراره، ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل:٤١].وطلب من مهندسي الجن المهرة إدخال بعض التعديلات على عرش بلقيس دون أي مساس ببنيته ومفاصله المهمة، كالمحافظة على القضاض.

اقترب موكب الملكة، واستقبلتها المراسيم الملكية السليمانية أكرم استقبال، ونزلت بدار الضيافة الذي جهز مخصوصا لإقامتها، وأمر سليمان عليه السلام مدير المراسيم أن ينتقي مجموعة من خيرة بنات الجن والإنس ليكن بمثابة حرس شرف وتحت خدمتها، وأمر الريح أن تحملها في نزهة لتلقي نظرة على سعة مملكة الله التي بوَّأها سليمان بعد أن تأخذ حظها من الراحة.

وكان غرض سليمان من المبالغة في تكريمها أنه لا هدف له في إذلالها، وإنما يهدف إلى تكريمها، فمن قواعد الأنبياء: (إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه) ومن واجبه كنبي هداية قبل أن يكون ملكاً أن لا يترك تلك الملكة الاستثنائية في ظلمة الجهل بالله، وعبادة الشمس وهي مخلوق حقير

من كون الله الشاسع المدهش.

وأوعز لمدير دار الضيافة أن ينقل للملكة رغبة سليمان في استقبالها فور وصولها؛ لولا حرصه على راحتها، وبذل ما يمكن من الضيافة التي تليق بها؛ ولولا رغبة سليمان في معاملتها كملكة عظيمة بمراسم الملوك لما نزلت إلا في دار نساء سليمان؛ لما يكنه لها من تقدير؛ وللملكة أن تحدد الوقت الذي يناسبها للاستقبال الكبير.

أبلغت سليمان امتنانها وعميق شكرها، أصالة عن نفسها ونيابة عن شعبها؛ للمعاملة الكريمة التي تحمل أخبارا سارة ومستقبلا زاهراً، وحددت الوقت المناسب.

وقد كانت تتلقى المعلومات من البنات المكلفات بخدمتها، والإجابة عن أي تساؤل، وأخبرنها أن سليمان عهد إليهن أن لا يحجبن عنها شيئاً، فلا يحجب عن الملكة بلقيس أي سر، فهي من أعز ضيوف سليمان؛ ولذلك اختارت اليوم الذي يجتمع فيه سليمان بكبار أهل مملكته من إنس وجن

ووحش وطير.

طارت بها الريح في جولة على بلاد الشام وتخوم القارة الأوروبية، وأدهشها منظر البحر الأبيض المتوسط، ولم تكن قد شاهدت بحراً من قبل، ورأت من عجائب خلق الله ما حير عقلها، فأدركت أن سليمان مربوط بقوى فوق مستوى البشر.

رجعت من رحلتها العجيبة في شوق عارم لمقابلة الملك الكبير، وقبل مجيئها أمر سليمان حفظة عرشها وحملته بوضعه على جانب البهو الذي تدخل منه واصطف الجنود من الجن والإنس على يمين الطريق وشماله، وامتدت الصفوف إلى بوابة مجلس سليمان والعرش قدام البهو بين الصفوف.

ولما جاءت الملكة إلى محاذاة العرش، والتفتت إليه متعجبة: **﴿قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ﴾** قالت على الفور: **﴿كأنه هو﴾** ، فَأُبْلِغَ سليمانُ بجوابها فورا بواسطة الريح، فأدرك أنها فلتة من فلتات الزمان، ونادرة من نوادر الدهر. وقال لكبار حاشيته من العلماء:

أي داهية هذه المرأة، حين قالت: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ ، فهي لم تقل: إنه هو؛ لاستحالة إحضاره، ولكن عقلها العجيب، وفطنتها الوقَّادة، وذكائها الخارق، أسعفها بأن سليمان يمتلك قوى خارقة فربما أحضر له العرش، فمن غير الحكمة أن تنكره وأن تقول: ليس هكذا، فتكون قد تخلت عن رمز مملكتها، فأجابت جوابا مدهشا، لا أنكرته ولا أثبتته.

وذكرهم بنعمة الله عليه وعليهم فقال لهم: لقد أكرمنا الله بالعلم والإسلام قبل أن يَهَبَ لهذه المرأة هذا الذكاء والعلم بالأمور- ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ *وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ [النمل:٤٣].

لما اقتربت الملكة من البوابة الكبرى المؤدية إلى الصرح المؤدي إلى مجلس سليمان تعرضت للامتحان الثاني: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾[النمل:٤٤] - ولكنها لفرط شجاعتها ورباطة جأشها لم تتردد ولم يظهر عليها أي ارتباك بل أسرعت ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ فابتسم لها مدير المراسم: و﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾[النمل:٤٤].

أراد نبي الله سليمان أن يستخرج المزيد من كنوز ما وُهِبَتْ من القدرة العقلية، والنظر البعيد، والنجابة المحيرة، وقد نجحت في الامتحانين بدرجة العبقرية من الطراز الرفيع، فقال لها مدير المراسيم عند ذلك: أيتها الملكة المبجلة — بإيعاز من نبي الله سليمان عليه السلام – إن العرش هو عرشك أُحضِرَ لسليمان بأمر الله وقدرته، تكريما لنبيه، وقد تلقينا الأوامر بإعادته معك إلى مكانه، مع ما يليق بك من الهدايا.

إنه أيتها الملكة الجليلة نبي مرسل من الله تعالى رحمة لعباده، ومحبة لهم، وأطلب السماح من الملكة المبجلة إن عَبَّرتُ عن حزني أن يفوت عقلك الكبير وذكاؤك المحير أن عبادة الشمس غلطة قاصمة، ولا يليق بموهبتك وقد تَشَرَّفْتِ بوطء بساط النبوة المقدس أن تتجاهلي خالق الشمس والقمر وخالق الكون كله، وهو الذي خلقك ووهبك ما وهب من التفوق والتميز.

فاغرورقت عيناها بالدموع، وأدركت أن مدير المراسم –

وكان من كبار العلماء الذين تعلموا على يد سليمان- إنما كان يتكلم بلسان سليمان، وأن هذا إنما هو خطاب نبي الله، آثر أن يحدثها به تكريماً لها، وحفاوة بمقدمها، ولطفاً بمشاعرها المرهفة، فتغشَّاها نور الهداية، وفاض على روحها الطاهرة نسيم الجمال والجلال الإلهي، وتدفق على نفسها بَرْدُ اليقين، واستحضرتْ عظمةَ اللهِ وكرمه ولطفه، فأجهشت بالبكاء غير مدركة لمن حواليها، وجعل الولائد من الإنسيات والجنيات يُقَدِّمْنَهَا بخطوات وَئِيْدَةٍ، وهي مستغرقةٌ في التواصل مع الخالق العظيم، متحسرةٌ على ما فَرَّطَتْ في جنب الله، نادمةٌ على ما ضاع من عمرها في عبادة الشمس، فرفعت كفيها في تبتل وخشوع بكى له الجمع الحاشد، وتعالى النشيج، وكادت الأكباد تتفطر حين أعلنت الاعتذار لرب العالمين: و﴿**قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [النمل:٤٤]، حبس الجميع أنفاسه وهي تتقدم من نبي الله وهو يُطأطأ رأسه شكرا لله أن هداها على يديه، وسيهتدي بها شعبها العظيم.

تقدمت إلى سليمان وقد ألقى الله عليها بعد الإيمان به

من البهاء والجمال والقبول ما يسحر العقول ويخلب القلوب، وأدت التحيات المباركات والصلوات العاطرات، السلام عليك أيها النبي الكريم والملك العظيم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، جزاك الله عني وعن قومي خير الجزاء، إني أقدم لك أيها النبي بطاقة الملك متنازلة عنه لمقامك الشريف؛ لتضع من تشاء لإدارة أحوال اليمن.

رحب بها سليمان ترحيبا حاراً، ذاكرا للملأ فضلها وجودة رأيها، وبعد نظرها وأنها مباركة، وأعلن قبل أن تجلس على الكرسي الذي خُصِّصَ لها على يمين سليمان أن نبي الله الملك سليمان قرر أن أصلح الناس لإدارة ملك اليمن والحبشة والخليج وشبه الجزيرة هي أمةالله المؤمنة الزكية الطاهرة الملكة بلقيس.

وقرر أن لها الصلاحية المطلقة، وأن لا رقيب عليها إلا الله، وأن مملكتها مستقلة تمام الاستقلال تحت راية الملكة

المبجلة بلقيس، وألزم جن اليمن بطاعة أوامرها حين تحتاج إليهم.

وقرر منح الملكة وسام المملكة السليمانية من الدرجة الأولى، وكان الوسام عبارة عن عقد من حبات من الألماس والجوهر النادر أحضرته الجن وصقلته لهذه المناسبة.

ولما عُلِّقَ على صدر الملكة كاد أن يخطف الأبصار بضوئه وبريقه؛ لولا أن حجبت بعض حباته بخمارها تواضعا وشكرا لله، وقالت: يا نبي أستعيض عن الشكر لك إلى الصلاة والتسليم عليك وعلى أبيك وعلى جميع أنبياء الله، وأنا محتاجة لأتمكن من شكر الله أن تأذن لي بالبقاء في ضيافتك، كي أتعلم على يديك أصول العقيدة، وقواعد السلوك الإسلامي، وفقه المعاملات.

هزَّ سليمان رأسه بالموافقة وأشار إليها بالجلوس، وأدنى رأسه منها هامساً: أيتها المؤمنة المخلصة إن من وصايا الإسلام أن ننزل الناس منازلهم، وأنه إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه،

وإني لا أجد لمثلك كفؤاً يليق بك إلا نبي، ولا يوجد غيري، وإني أرغب أن تكوني مني مكان سواد العين من بياضها، وأطلب يدك لتكوني زوجة لي وسيدة النساء الأولى، وهذا لا يتعارض مع إدارة الملك باليمن، وسأرتب لك زيارة أسبوعية على بساط الريح، فإذا قبلت بذلك فستزداد نعم الله علي، وإلا لا حرج عليك إن آثرت العزوبية.

تهلل وجه الملكة، وتصارع بريق بياض وجهها الملائكي مع حمرة الخجل والسرور بهذا التكريم النبيل، فأعلنت الموافقة وأنها واحدة من المؤمنات بالله ونبيه سليمان.

شكرها نبي الله ودعا لها بالبركة ودوام السعادة، وطلب إليها أن يؤجل إعلان القران وحفل الزفاف لجلسة خاصة، وأذن لكبار القادة من جميع المخلوقات بالمرور أمام المنصة، كل قائد مع قبيلته من جن وإنس ووحش وطير، وإلقاء التحية والاحترام للملكة، وتهنئتها بالإسلام واللقاء بحبيب الله ونبيه سليمان عليه السلام.

ولكن المواكب لم تتحرك، فأخبرت الريحُ سليمان عن

رغبتهم في إلقاء بعض الهدايا الرمزية للملكة تعبيراً عن فرحتهم بإسلامها، ونيلها حب نبي الله سليمان وعنايته، فابتسم شاكرا لهم، فأبلغتهم الريح بموافقة سليمان وشكره لمشاعرهم النبيلة.

وأمر حفظة الكنوز بفتحها؛ ليلتقط المهنئون ما يحلوا لهم لتقديمه لملكة القلوب، ولا سيما وقد شعر سليمان بإحساسهم أن الملكة ستكون سيدة الكون الأولى وسترتبط بعقد قران مع ملكهم ونبيهم؛ لذا تضاعفت غبطتهم، فألقوا بين قدمي الملكة من الجواهر واليواقيت واللؤلؤ والمرجان والدر والألماس والأحجار الكريمة ما يفوق الوصف ويستعصي على الحصر.

أمر سليمان بنقل الهدايا إلى العرش، بعد أن يفرش بالسجاد الذي صنعته قبائل الجن في تركيا، ثم بالسجاد الذي اشتهر به جن فارس وأنواع الحرير والديباج، وأوعز إلى حملة العرش من الأرواح الخفية أن يردوا العرش إلى مكانه في

مأرب، أو حيث ترغب الملكة، فأشارت بوضعه حيث كان تماما لأنه مكان حُدِّدَ بعناية فائقة.

استأذنت الملكة زوجها النبي سليمان عليه السلام أن تقدم مهرها من المعادن الثمينة هدية لشعبها بشرف النبي الذي تشرفت اليمن كلها بمصاهرته وهدايته لليمنيين لعبادة رب العالمين.

الفوائد المستفادة من القصة

أهم فوائد القصة وأحكامها الشرعية مستنبطة من الآيات من ٢٠- ٤٤ سورة النمل

١- رغم ضخامة ملك نبي الله سليمان فإنه لم يغفل عن تفقد الصغيرة والكبيرة، حتى لم يفت عليه مكان طائر الهدهد وهو صغير، وهذا درس وعبرة لنا لنعرف أن بإمكان الإنسان أن يستخدم ما بداخله من طاقات جبارة تدل على عظمة الخالق في هندسة الدماغ البشري الذي يتمكن من السيطرة على مخلوقات لا تحصى ولو كانت في سعة ملك سليمان.

٢- قوة الملاحظة حيث أدرك الفراغ الصغير، وما ذاك إلا من دقة الترتيب وانعدام الفوضى، فكل الأجناس العاملة في بلاط الملك النبي منضبطة حسبما رسم لها؛ ولذلك استدعى مشائخ الطير كالنسر والصقر والعقاب والبازي والشاهين ووبخها على التقصير فطار كل منها إلى جهة فعثر على الهدهد في اليمن وأُحْضِرَ للتو.

٣- التطبيق الصارم لمبدأ الثواب والعقاب مع التحري الدقيق للإنصاف والعدل وذلك ما عبرت عنه الآية أروع تعبير: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ هذا هو ما عبر عنه فقهاء الإسلام. الأصل براءة الذمة حتى يثبت العكس، وفقهاء القانون: المتهم بريء حتى تثبت إدانته. فالهدهد الصغير الضعيف لا يخاف ظلماً ولا بطشاً من الملك الكبير؛ لأن الحق هو المرجع، والعدل هو الأمان وسليمان سلام الله عليه أضعف مخلوق أمامَ الحقِّ والواجب الذي حمله والعدل الذي كُلِّفَ بحراسته وتطبيقه.

٤- لم يكن العذاب الشديد الذي توعد به سليمان داخلا في

قاموس الوحشية السادية الذي تُمارِس مفرداته أنظمة الاستبداد والقمع من قلع الأظفار، وقطع الأطراف، والانتهاك للأعـــراض -و غير ذلك مما تقشعر له الأبدان، وتشيب له النواصي- وإنما هو حبسه في قفص مع السماح لأقاربه بزيارته والحديث معـــه، وتمكينه من أن يطلب ما يحتاج إليه مما هـــو مـــوفر لـــه مـــن مخصصات الطير. وقيل: إن العذاب هو عزله عن أبناء جنـــسه، ونقله للخدمة مع النسور أو الغربان فمعاشرة الأضداد أشد من أضيق السجون، حتى لو تقرر بحكم عادل إعدامه بالذبح لخيانة جسيمة فهو ذبح سريع.

٥- لم يمكث الهدهد كثيراً فهو يدرك حجم المسئولية ومـــتى فَرَّطَ في تضييع الوقت ضاق عليه العذر، فالواجب الاحتيـــاط، والتبصر في العواقب؛ أدرك الهدهد ذلـــك ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ و لم يتأخر كثيراً.

٦- حضر أمام سليمان منكساً رأسه، مطئطئاً ذيله؛ احتراما وتقديرا وحبا، لا خوفا من البطش فهو مطمئن، فسأله سليمان شخصياً و لم يتركه للمحققين ليكتفي بقراءة التقرير الذي قـــد

يشوبه شيء من مجانبة الحقيقة، فربما خامر المحققون الحسد للهدهد لإنجازه الكبير، وتآمروا بتحويله لكبير الطيور وشيخها، وليس لهذا الطائر الحقير ولكن منعاً للشك، وإظهارا للحق بسرعة فائقة، قال له: أين كنت؟ ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾؛ وأخبره القصة كما سبق.

٧- شكره سليمان على إخلاصه، ولكنه أراد أن يتبين من صدقه وهذا أمر مشروع فالتحري ضمان العدل -﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾

٨- فوق إرادة التحقق من صدقه لمس فيه النباهة والفصاحة والشجاعة حين أجابه بتلك العبارات التي تحمل دروساً لا غنى عنها للكبار قبل الصغار وهي: ﴿**وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾، فالهدهد الصغير أدرك ما لم يدركه النبي الكريم والملك العظيم:

فإن السيوفَ تحز الرقـــب وتعجز عما تنـال الإبـــر

لذلك كلفه بمهمة حمل الرسالة لملكة سبأ

٩- إن رسول المرء ترجمان عقله فإذا كان حكيماً حصيفاً فلا يحتاج لوصية:

إذا كنـــــت في حاجـــــة مرســـــلاً

فأرســــل حكيمـــــا ولا توصــــهِ

١٠- ولكن الأمور الهامة، والشئون الكبيرة لابد فيها من الإرشاد والتعليم؛ ولهذا أوصى الهدهـــد باســـتخدام اللياقة والأدب والدبلوماسية الراقية؛ فعند مناولة الملكـــة رسالة سليمان ينبغي أن لا يظل قائمـــاً علـــى رأســـها كالمتطاول المتحدي الذي يأخذ بالخناق: ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ إن الخطاب السليماني في غاية الاحترام، فهو بصيغة الجمع: ﴿إِلَيْهِمْ ، يَرْجِعُونَ﴾ و لم يقل: (تَرْجِعُ)؛ ولعله أدرك أن نظام بلقيس قائم على المؤسسات المدنية والشورى، فهو غير موجـــه لفرد وإنما لشعب. كل ذلك صـــحيح وربمـــا لاحـــظ المعنيين.

١١- أدركت بلقيس نموذجاً غير معهود في ســـلوك رسول سليمان عليه السلام من الأدب الرفيع، والاحترام الكبير، وأنه من عالم الطير، فهو يرمز إلى قوة من أرسله فلا يمكن مقاومته.

١٢- كان خطابها يحمل التصرف الـــذكي مـــن أول وهلة، فهي لم تقل: وصل كتاب خطير، أو مزعج؛ بـــل

قالت: ﴿كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ وفي ذلك من التوفيق ما لا مزيد عليه، فالمشاكل والحروب إنما تبدأ بالكلام المستفز، فإن الحرب أولها كلامُ، والكلام الحالي[٥] يكسر العود اليابس، وذلك بداية الكلام، وأمارة التوفيق والنجاح

١٣- أبلغت الملكة قومها فوراً ليقرروا بأنفسهم مصير بلادهم، فهم الذين يدفعون نفوسهم ونفائسهم ويبذلون مهجهم دفاعاً عن بلادهم، وهناك بونٌ شاسع بين قرار نابع من الشعب، وقرار من فرد مستبد، فالفرد منهزم لا محالة، ولو حرك الجيوش وأرغم الشعب إرغاماً، **أما** المقاومة الشعبية فلا تقهر أبداً، طال الزمان أو قَصُر.

١٤- الشورى، الديموقراطية، والاستفتاء الشعبي نظام عرفه اليمنيون وطبقوه ومارسوه مع ملكتهم المباركة قبل خمسة آلاف عام وقد استحق هذا النظام أن يشيد به القرآن الكريم وأن يُخَلَّدَ بسببه ذِكرَ اليمنيين.

و كان المفترض ولا سيما بعد مبعث رسول الله محمد ﷺ خاتم المرسلين، ووصول الإسلام إلى اليمن، وتقديم هذا التشريف الإلهي لأهل اليمن الذي هو أرفع من أعلى الأوسمة

(٥) الحالي باللهجة المحلية يعني الطيب الرقيق الودي، يقال: طعم العسل حالي

العالمية، وأسمى من أي إشادة دولية؛ لأنه جاء في كتاب مقدس هو الوحيد الذي استعصى على التحريف، وأطبقت الأمم المسلمة على نصه المتداول في شرق الأرض وغربها كان الأحرى باليمنيين أن يكونوا أكثر الشعوب الأرض تشبثاً بالنظام الشوروي والحكم الديموقراطي، كشكر وامتنان الله رب العالمين الذي رفع قدرهم، ونوه بتأريخهم، وقدَّم الملكة بلقيس كأروع مثال نسائي أدار دفة الحكم من بنات حواء قاطبة.

١٥- دل قول الهدهد: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ أنها أول امرأة تحكم في الزمن القديم.

١- و دل قوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ أن المملكة كانت واسعة الثراء، وهذا يرجح امتداد ملكها إلى القرن الأفريقي فالحبشة والصومال وجيبوتي وإريتريا من جهة الغرب، وعُمَان والحجاز من الشرق والشمال، فكانت همزة وصل بين القارة الإفريقية وقارة آسيا، فازدهرت المملكة بالزراعة وإقامة السدود والمدرجات وتجارة الحبوب والبن والزبيب واللوز والسمن والعسل والمواشي

واللبان والبخور.

٢- ودل قوله: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ إلى مدى النفوذ والهيبة والقوة وانضباط أمر المملكة.

٣- كان الضعف الذي لاحظه الهدهد هو عبادة الشمس من دون الله، وذلك من تزيين الشيطان لعنه الله وإغوائه، فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون إلى الله الخالق العظيم الذي يخرج الخبء: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۙ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾.

٤- الخبء هو: المخبوء المستور عن الأنظار كنبات الأرض، وكنوزها، والمطر؛ وفي ذلك إشارة إلى أن الهدهد من خبراء الهندسة ومعرفة ما في باطن الأرض فقد زوده الله جلت قدرته، ولطف علمه بحاسة خارقة يرى بواسطتها منابع الماء تحت الأرض، وكان دليل سليمان على استخراج الماء عندما يكون في بقعة لا ماء فيها فيأمر

الجن فتسلخ الأرض عن النبع في لمح البصر فيجدون الماء على الوصف الذي أشار به الهدهد.

٥- يحتمل أن يكـــون قولـــه: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ من كلام الهدهد، وفي دليل على مدى تخصصه في اكتشاف الْمُخَبَّأ في باطن الأرض، والتنبـــؤ بـــترول المطر، فهو مزود بأجهزة أقوى من أجهزة رصد التقلبات الجوية، وهو يملك بصراً يفوق أي أشعة تخترق الجدران والظلام فسبحان من أودع بديع قدرتـــه في أضـــعف مخلوقاته.

٦- و ربما يكون من كلام الله سبحانه، وفي ذلك إشارة إلى تفوق هذا الطائر في التفكير السليم، والاهتـــداء إلى الله اللطيف الخبير؛ حيث لم يهتد العقلاء من أمثال الملكـــة بلقيس. فيجب على الإنسان أن يتواضع فرحم الله إمرءاً عرف قدر نفسه. قال الشاعر:

وقل لمن يدَّعي في العلمِ معرفةً ... عرفتَ شيئًا وغابتْ عنكَ أشياءُ

٧- يجب تتريل الناس منازلهم فالملكة: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّى

أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ ؛ لأن الكتـــاب مبـــدوء بـــ(بسم الله الرحمن الرحيم) ومعطر مختوم، والرســـول أنيق جميل، وقد قال رسول الله ﷺ: "إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه"، وقال ﷺ: "أنزلوا الناس منازلهم".

٨- وَجَازَةُ الكتاب تدل على أن خير الكلام ما قـــل ودل، ولكل مقام مقال، فالإيجاز له مقامه، والإطناب له مقامه.

٩- ما أجمل ما خاطبت به قومها:﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾؛ حقاً فهذا هو بيت القصيد في تعظيم القرآن لشأن الملكة بلقـــيس، إنه رجوعها لرأي شعبها، فذلك صمام الأمـــان مـــن الكوارث والنكبات التي يَجُرُّهَا حُكْمُ الفـــرد المـــستبد المغرور.

لقد شَهَّرَ القرآن بالنموذج الإنساني البشع في تأريخ فرعـــون؛ فأي انحطاط وراء قوله:﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾، ﴿ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ﴾ لقد قذف بنفسه وقومـــه في نهاية المطاف إلى أعماق البحر، وأوردهم النار وبئس الـــورد

المورود.

وماذا فعل بألمانيا والعالم منفوخٌ مثل هتلر وبجواره معتوه إيطاليا موسي ليني؟ وماذا كان مصير العراق في التاريخ الحديث العربي؟ وما سبب هزيمة العرب وانكسارهم أمام إسرائيل؟ أليس الاستبداد؟ أليس حكم الفرد المشئوم؟

١٠- انتزعت الملكة بلقيس طواعية وبطيب خاطر طاعة قومها المطلقة؛ إذ فوضها شعبها تفويضاً مطلقاً جعلها تحمله وسط قلبها، وفي سواد عينها فهي وشعبها كالروح والجسد والسمن والعسل. وصدق الله:﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾.

١١- إن الملوك يغلب عليهم طبيعة الفساد والإفساد يتخذون مال الله دُوَلاً، وعباده خَوَلاً، نعم هكذا يخيل لهم أن البلاد مزرعة خاصة، والبشر مجرد حيوانات بعضها للذبح وبعضها للحرث، وبعضها للركوب وبعضها للزينة.

وفي إخبار الملكة لقومها بهذه الحقيقة دليل على السمو والرقي، ومحاولة الارتفاع بمستوى شعبها السياسي، وتعويدهم على الشفافية، وأنهم حصنها الحصين، وجسدها المعافى القوي؛ وهل يرتفع الرأس على رجلين كسيحتين؟

فهي لم تحتقر قومها ولم تزعم أنهم غير ناضجين ولا مؤهلين لإدارة شئون بلادهم؛ لأنهم في نظره ما زالوا قصَّارا وأطفالا؛ لذا فهم بحاجة ماسة للمُلْهِم والرمز، والباني، والفذ، والمنقذ، وحامي الحمى، وراعي الحقوق والحريات، والمتكفل بقوت الشعب، والعبقري، والفيلسوف، وراعي الديمقراطية، والرُّبَّان، والفارس، والصقر، والصارخ العابر للقارات، وكل شيء، ولو جرى له أي مكروه ينقطع المطر، ويتمزق البلد، ويتناحر الناس، ويموتون في الطرقات جوعاً وعطشاً، وتسود الفوضى، وينهدم الدين، وتقوم القيامة، فالله يحفظه ويحرسه ويبقه مثل إبليس إلى الأبد بالروح بالدم بالعظام بفيروس الكبد بالسرطان بالإيدز نفديه!!! بالطاعون نحميه، من للأرامل الذكور؟ من لليتامى الكبار؟ من للبنات والأمهات؟ من للمسحوقين والبائسين؟ من

للمسجونين والمقهورين؟ من للمسلوبة أموالهم؟

مَــــنْ ذا نُفَـــدِّي إذا مـــا غـــابَ قائـــدُنا
لِمَــــنْ نَـــدُقُّ عظـــامَ الـــصدرِ والقَـــدَمِ

بفــــضله أصـــــبح الـــــرُّوتي بعافيـــــةٍ
أشـــدَّ جِـــسْماً مـــن المـــسواك والقلـــم

صِـــــرْنَا بحكمتـــــه أضـــحوكة وَغَـــدَتْ
وُجُوهُنَـــا مـــن جحـــيم الفَقْـــرِ كـــالْحُمَمِ

١٢- (تهادوا تحابوا) والتنبه لهذا الأسلوب يدل على مدى الدهاء السياسي لدى الملكة، فلكي تكسب مزيدا من الوقت لتستجلي حقيقة سليمان، وبصورة لبقة ودية لا تتهم فيها بالمماطلة والمراوغة: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾.

١٣- تيقنت الملكة حين رفض سليمان الهدية: و ﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ

تَفْرَحُونَ﴾ أنه ممدود بقوى غيبية، وليس طامعاً في بلادها لتوسيع ملكه وزيادة ثروته، فعزمت مع وفد كبير من كبار رجال الدولة إلى سليمان.

١٤- طلب سليمان إحضار العرش قبل أن تسلم الملكة وقومها فَتُحَصِّنْ بالإسلام النفس والعرض والمال، حتى وإن لم يكن بحاجة للعرش مادياً وإنما لغرض آخر، لكن أي غرض بعد دخولها الإسلام لا يحل إلا برضاها.

١٥- العفريت من الجان الخبيث المنكر، ومن الشياطين الخبيث المارد، ورغم أنه خبيث مارد إلا أنه عرض صفتين يصلحان للمهمة وهما الأمانة والقوة فلا غنى عنهما لأي عمل، ((**إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيّ الأَمِينُ**)).

١٦- لم يكتف سليمان بقوة العفريت وأمانته وسرعته المذهلة، بل طلب ما هو أقوى وأسرع فكان له ما أراد بواسطة جبريل، أو مَلَك آخر أيد الله به سليمان، أو وزير المصالح الصديق (آصف بن برخيا) وكان يعرف

الاسم الأعظم وهو: يا حي يا قيوم أو يا ذا الجلال والإكرام، فمد سليمان طرفه نحو اليمن فدعا صاحب علم الكتاب وأسرار الشرائع فغار العرش في مكانه بمأرب بقدرة الله، وقبع في مجلس سليمان قبل أن يرتد طرفه، فحري بأصحاب الهمم أن يطلبوا أعلى الأمور.

١٧- اهتدى سليمان بتنكير العرش وجوابها على سؤاله بذلك الجواب المدهش على رجاحة عقلها.

١٨- استدل بالصرح الممرد بالقوارير على رباطة جأشها وكيفية تصرفها عند المفاجآت، كما أراد التأكد بنفسه من إشاعة أطلقها الجن أن بلقيس شعراء الساقين، وأن رجلها كحافر الحمار، وأن في عقلها شيئا؛ خوفا أن يتزوجها، فلما كشفت عن ساقيها ومرت فوق الصرح مُقَدِّرَةً أنها لُجَّةٌ رأى أجمل امرأة، وأعقل وأشجع من أنجبتهن حواء، فصرف بصره ﴿وناداها إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾. كل هذا يدلنا على وجوب التحري وعدم تصديق الإشاعات والوشايات.

١٩- لا يتردد العقلاء من الانقياد للحق والاعتراف بالخطأ، والمبادرة إلى إصلاحه؛ لأن ذلك هو التصرف الصحيح وهو ما فعلته ملكة اليمن بدون تردد، وأعلنت إسلامها.

من الدلائل القرآنية في هذه القصة الشيقة ملاحظة أن وضع الشيء في موضعه. ذكر ما فعلته الملكة حين قدمت الاعتذار إلى الله تعالى، و لم تعتذر لسليمان؛ لأنه عبد الله مثلها، وهي لم تقصر في حقه، وإنما قصرت في حق ربها جل وعلا، فهو وحده من يُقَدَّمُ له الأسف والتوبة والندم والاعتذار وعلى عتبات بابه يليق التذلل وسكب الدموع، وإليه لا سواه يوجه النداء كما وجهته الملكة الكريمة وكما وجهه أبو البشر من قبلها، ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ، ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ، اللهم حقق لنا ما وعدتنا، ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ .

٢٠- لم يرد القصص القرآني لمجرد التسلية وإنما يحمل

دلالات، وأحكاما، وعبرا. وحمل قصص ملكة سبأ أن المرأة قادرة على بلوغ المستوى الذي يعجز عنه الرجال فهاهي قالت لهم: ﴿أَفْتُونِى فِى أَمْرِى﴾ كيف أواجه المشكلة المعقدة التي تهدد البلد ونظامه فلم يسعفوها بشيء سوى الاستعداد القتالي، وهو جهد عضلي لا يساوي شيئا إزاء الجهد العقلي الذي تميزت به الملكة المرأة، وكان أجدى وأنفع وأحمد عاقبة من تفكير المقاتلين الأشداء الذين كانوا سيخسرون الحرب حتما.